ما لم تروه النخلة لعمنا السندباد

مجموعة قصصية

الطبعة الأولـــى
2020م- 1442هـ

ديـــوان العـــرب
للنشر و التوزيـــع

ملحـوظـــــــــة: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنـــوان الكتاب: ما لم تروه النخلة لعمنا السندباد

اســـم المـؤلف: مهند يحيى حسن

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيـــــداع: 16043 / 2020

الترقيـم الدولي: 8 - 28 - 6830 - 977 – 978

تصميـم الغلاف: محمد وجيه

التدقيـق اللغـوي: مهند يحيى حسن

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقـــم الطبعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

ما لم تروه النخلة لعمنا السندباد

مجموعة قصصية

مهند يحيى حسن

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

حقوق حلمك

إهداء

إلى أبي الذي مات قبل أن أورق بين يديه كقصيدة بريئة!

إلى زوجتي التي لا تفهم معنى أن أكون أديباً.

إلى بلدي الذي سيعترفُ بي بعد أن يتحرر من مرض طائفيته المقيتة .

إلى بلدتي التي ترمم صابرةً ما تهدم من شظايا القلب.

إلى من تسقط بين يديه هذه الخربشات ..

أهدي .. فراشاتي !

مهند يحيى حسن

****

أنشودة سانشو بانثا[1] الأخيرة

صمت ثقيل جاثم على جنبات الطريق الرملي المتشظي، وسط بقايا تمثال تهشّمت ملامحه، جسده يتفصّد عرقاً.. سأجف حتماً قبل وصولي.. اعتصر واجهة قلنسوته ليمسح عرقاً ضايق رؤيته وعاد ليتطلع إلى الملامح المبعثرة عند نهاية الطريق المهروس.

-ما أبشع أن يتغير كل شيء هكذا ..!

قبل لحظات كنت محتميا خلف متراس فراشي القشي الجاف برفقة حماري الأثير، أنعم بنوم هانئ متوسداً قطعة الغصن التي اعتاد سيدي كيخانو - كيشادا[2] على ربط حصانه روسينانت[3] به،

---

[1] سانشو بانثا: مرافق الدون المقاتل الأثير وحامل درعه الموعود بحكم جزيرة من سيده الفارس الفنتازي كيشادا ، وقد سلك في هذه الرواية دور الشخصية التي تسند الشخصية الرئيسة في تحقيق مفاصل هذه الرواية الشيقة. وتبدأ هذه الشخصية بالظهور منذ الصفحة 35 للرواية وحتى نهايتها.
- المصدر: رواية دون كيشوت/ دون كيخوطي، تأليف (ثريفانتس): ترجمة عن الفرنسية (صياح الجهيم) (1999)، ط1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان:

[2] كيخانو- كيشادا،ألونسو كيخانو، ألونسو كيكيشانو/ كيكيزاد، دونكي شوت / دون كيخوته : أسماء لشخصية رواية ميجيل دي ثربانتس سافيدر (دون كي خوطي / دون كي شوت) الشهيرة .
وقد وصفه بأنه رجل وسيم ، في الخمسين من العمر ، يقيم في إقليم لا مانتش في القرن السادس عشر ، وقد كان لولعه بقراءة ومطالعة كتب الفروسية اثرها في حجبه عن العالم الخارجي وإبعاده عن التفكير بالزواج؛ وبسبب تاثره بقراءاته، فقد قرر أن يرتدي ملابس شبيهة بملابس فرسانه الأسطوريين، في رحلة غرائبية يرافقه فيها حصانه الهزيل روسينانت، رافعا رايته الدالة على شخصيته الجديدة دون كيخوته لامنتش / دون كي خوطي لامنتش.
- المصدر السابق الفصل الأول: (5 – 11)

[3] شخصيات ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت :
حصانه الهزيل روسينانست = روزيناتتي (المصدر السابق : 15)

حالما بحضني لخصر ماري تورن[4] التي سيهديني اياها حال منحي لجزيرة حكمي المنتظرة، إلا أن كابوساً مرعباً فكك فتيل حلمي، وجعلني أغادر إيقاعات أنفاسها الراقصة على حين غرة.. اللعنة على الأحلام، وما تجره على أصحابها من ويلات.

رفع رأسه إلى السماء مبهوتاً، غاضباً.. كانت سحابات سود تتوالد وترعى بهدوء .

-نـــ..ز..يـ ..ف .. !

انتفض بشدة.. العقارب تتنزه في الليالي المتربة.. هكذا قالت جدته وهو صغير.. ذكريات بريئة تتواثب لتنقض على ما بقي في جسده المتعب.. كان يبكي عندما كانت تحكي له قصة لسعتها من قبل عقرب غادر.. لكنه كبر ولا يدري كيف انتقل سم الخوف من مرحلة الطفولة حتى مرحلة النضج.

انتفض لحركة لا يعلم مصدرها إلا أنه أحس بدنو عقرب موت يتجه نحوه.

قبل قليل كان برفقة صاحب النزل[5]؛ وأخبره أن نديمه دون كي شوت[6] سعيد بصحبته، وأنه سيسر إليه بشيء لن ينساه طيلة حياته المقبلة، لقد

---

[4] ماري تورن ؛ إبنة صاحب النزل التي تعلق قلب سانشو بها: شخصية ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت :
(المصدر السابق: 50 – 52)

[5] صاحب النزل : شخصية ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت :
(المصدر السابق: 50 – 54)

[6] سبق ذكره تفصيلاً هامش 2

تحفز للقدوم مبكراً ليغرس مجساته في ناصية الوجع ويعود ليكمل تفاصيل بشارته مع صديقه الأثير.

-اللعنة على الأحلام، وما تجره علينا من ويلات.. أ لم تجد غيري كي تصطاد فرحته بسنارتها المزعجة، وتحيل موائد الفرح المؤجل فيها الى مأدبة للعزاء؟..

يا لحظك العاثر يا سانشو[7]، لم تفترش يوماً وسادة الفرح إلا وداهمتها دموع الكوابيس، فما شأنك و ذلك السرير المذهب وبما تصطبغ به وسائده من ألوان قاحلة، ترسم صورة موت مجعّد مخفي بين عنق الحكاية، وعنكبوت الزمن الجاثم فوق أوردة حلمك.

-الـ..نـ..ز..يـ..ف..!

لم يستطع أن يرفع رأسه صوب السماء مرة أخرى، وبخه الكاهن بيرو بيرس[8] في حجرة الدرس على تبذيره حبر دواته وهو يحاول أن يتأمل ظلفة نافذتها المتهرئة ليخط من بين شعاع أجنحة حمامها الواقف عليها جملته الأولى

-..و..قـ..ـف .. الـ..نـ..ز..يـ..ف .. !

[7] سبق ذكره تفصيلاً هامش 2

[8] الكاهن بيرو بيرس : شخصية ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت : (المصدر نفسه : 30)

أكنت تظنّ وأنت تتفاجأ بجلد معلمك لك ظنّا منه أنك تسخر من جمال أميرته دولوسينيا دي توبوزو[9]، أنك ستكون شخصاً عارفاً لإشكاليات الحب وتراتيله المدوزنة لصلوات الانتماء لغيم ذاك الفراغ.. يا لقبح ما مثلته تلك اللحظة في جمجمتك أيها القميء ؟

-أ..و..قـ..ف .. الـنـزيـ..ف .. !

بعض بقايا ما تلفظ به زمرة الفلاحين كان عصياً على الفهم ، حتى وأنا أتذكر بعضا من مفرداتهم وهم ينهالون عليّ وعلى سيدي الذي أجهز على أغنامهم ظنا منه أنها جحافل لجيش متنكر ...؟![10]

-جـ.و..ك.. أ..و..قـ..ف .. الـنـزيـ..ف .. !

وجه سيده القابض على رمحه بكل قوة عند طاحونة الجشع بيبنايا[11] كان يرمقه بوجع مسترسل، مدفون بلهاث قافية موؤدة... كاد أن يموت وهو يضع أنفاسه في الضربة التي رفعته قبل أن ترّض عظامه على الأرض .

-أرجوك أوقف النزيف .. !

الذبابة التي تجري في عروقه جعلته يدرك أنه سيسحق تماماً تحت كف القدر، إذا هو لم يتحرك !

---

[9] محبوبة دون كي شوت دولوسينيا دي توبوزو : شخصية ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت (المصدر السابق : 29)

[10] حادثة ضرب رعاة الأغنام لدون كي شوت بعد قضائه على أغنامهم التي ظنها جنودا متخفيين .(المصدر السابق)

[11] حادثة ضرب دون كي شوت طاحونة الهواء (المصدر السابق : 39 – 41)

مخالفته لنبؤة الصبي بيريكيلو[12] وهو ينهره، ويأمره بالابتعاد عن ترهات سيده الموهوم والجري وراء شعاراته الفضفاضة.. شنيعة جداً.

تحركت خطواته المعقوفة باتجاه إحدى حجارات التل الشاخصة، على يسار الطريق المبعثر.. توقفت الحياة في داخله فجأة.. لا يدري كم من الوقت مرّ قبل أن تتدفق الدماء في عروقه كسيل هادر لتهدم سد الخوار من داخله.

تراجع قليلاً إلى الوراء.. اتكأ على بقايا التل الذي لم يجد له اسماً، نظر باتجاه قطعة الحجر التي أعثرته وأدمت كاحله الأيسر حتى جعلته يهدئ من خطوه مستسلماً لعجلات صمته اللاهث .

قطّب حاجبيه... غير معقول.. وجه لأحد اشباح العملاق كاراكولبامبرو [13].

أحس بشيء يوهنه عن الوقوف، إلا أن إرادة المفاجأة أذهلته وأمرته أن ينهض على الرغم من وطأة ما يحس به من الآم ومشاعر متضاربة .. يتقدم صوب الرأس.. يتأرجح ماشياً، حتى يتمكن من القبض على قطعة من فصّ عينه اليمنى، تأملها بحذر، ثم أخذ قطعة أخرى من عمامة الرأس، المطعمة بنقوش طالما ألفها وتعود أن تغازل أوصافها أذناه في كل سهرة من سهرات حكايات سيدة ذي الدرقة المذهبة، حاول أن يتلمس بعضاً مما أحاطها من

[12] الصبي بيريكليو : شخصية ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت

[13] العملاق كاراكولبامبرو: شخصية ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت

تجاعيد وطيات متعجباً من دقة من قام بنحتها، وكأنما صاحبها قد تم تحنيطه وتركه ليتحول مع ماتبقى من حليه إلى قطعة من الحجر.. دقة ما حملته من تفاصيل جعلته يغوص مع ذكريات أمسه (القريب – البعيد) متذكراً ألوانا مشابهة لها، ضاقت حكايات سيده من وصفها وتربعها على أسفل الجبهة الموالية لغرة حاملها و.....

-ما هذا ؟ هل هذه كلمات منقوشة على حواف الجوهرة ؟.. أم أنها مجرد نقوش أخرى.. إنها كلمات فعلاً منقوشة بطريقة لا يفهمها الا أهل ذلك الزمن.. ولكن ماذا جاء فيها : لاماسو[14] .. ثرفانتس[15] ..

---

[14] لا ماسو شدّا (الثور المجنح) ، ويذكر تارة بشيدو لا موسو لدى الآشوريين ، ويشتق اسمه من لامو السومرية والتي تعني أنثى الجن الموكلة بحماية المدن والقصور ودور العبادة أو شيدو أو شدو = شدّا الأكدية ، وفي كثير من الأحيان تدمجان فتظهر تسميته لاماسو شدّا = لاموسو شيدو . وهو عبارة عن تمثال ضخم ، يبلغ طوله بحدود الأربعة أمتار وإثنين وأربعين سنتمرا ، ويزن أكثر من ثلاثين طنا ، ويوجد على بوابات أسوار العديد من المدن والعواصم الاشورية ، كـ(دور شروكين) ، التي قام بتشييدها الملك الآشوري سرجون الثاني ، والتي هجرها ابنه سنحاريب ؛ لينقلها إلى نينوى ويجعلها عاصمة حكمه ،وقد تبقى منها القليل ، كالثيران التي تم العثور عليها تحت ما يسمى بقبر النبي يونس المؤسطر ، وعلى أسوار مدينة ككالخو / كالخو = كالح – النمرود ، الواقعة على بعد ثلاثين كيلومترا جنوب الموصل ، حيث تجرأ تنظيم داعش المتشدد على تدميرها خلال فترة احتلاله للموصل .
وهناك بعض النسخ المقلدة لها ، تم رصدها على أبواب بعض المعابد الزرادشتية و الأيزيدية والبارسانية .
المصدر : ويكيبيديا
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%86%D8%AD

[15] ميجيل / (ميغيل) دي ثيرفانتس / (سيرفانتس) سابيدرا / (سافيدرا) : مؤلف الرواية الشهيرة دون كيخوطي / دون كي شوت ، والتي عدها النقاد الرواية الأوربية الحديثة الأولى .

المصدر : ويكيبيديا :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%BA%D9%8A%D9%84_%D8%AF%D9%8A_%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%B3

إعادة المنفي من أرض زرادشت[16] .. ما هذا الكلام ..؟

مسح على ناصيته وأغمض عينيه قليلاً، ثم فتحهما بهدوء، حاول أن يسترجع بعضاً من أبجديات ما كان يرصفه في عقله ذلك المعتوه كيخانو – كيشادا[17]، ليحاول أن يفكك جزءاً من خيوط هذه الأحجية الغريبة، وماهي الا لحظات حتى فغر فاه، فالكلمات هنا – على الرغم من بعثرتها – واضحةً جلية، إنها تقول :- ((إذا كنت قد وجدت تمثال رأسي مهشماً، فأبحث عن بقية جسدي ورتل الكلمات، كي نعود بالفارس المنفي ذي الدرع المثقب، قبل أن يُفتَحَ بابٌ من أبواب الجحيم ويُنزل على هذه الأرض وحشٌ أعتى من عملاق سيد جزر المالندراني[18].. لا تتوجل، فقد كُتِبَ كُل ذلك على ورق الغيب، وطالعتنا إياه نجوم السماء من قبل أن ندق إسفين الحجر الأول لمسامير مهد ولادة ألونسو كيخانو[19]، وقد قمنا بتخبئتها هنا إلى أن يتمكن الشخص المسافر إلى أثواب الغيب من العثور عليها، فإن كنت ذلك الشخص، فلا تتردد ، انطلق بلا تفكير)).

---

[16] زرادشت بن اسبتمان (زاراوسترا): مؤسس الديانة الزرادشتية ، والتي كانت منتشرة في مناطق واسعة من أواسط آسيا إلى إيران حتى ظهور الاسلام واضمحلالها تحت مجموعة من العقائد البسيطة كعقائد الآيزيدين وغيرهم .
المصدر : ويكيبيديا .
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D8%B4%D8%AA

[17] سبق ذكره تفصيلا هامش 2

[18] عملاق جزر المالنداني: شخصية ثانوية ومسطحة ورد ذكرها في رواية دون كي خوطي / دون كي شوت

[19] سبق ذكره هامش 2

اندهش قليلاً من عمق ما تفصح به هذه الكلمات الغريبة، حتى اهتزت يده وأسقطت ما تحمله على بقايا فم التمثال القاحلة

فتح فمه قليلاً ليتقيأ جزءاً من بخار الكلمات الصادحة بلعاب ما صادفه من متناقضات، من لحظة نهوضه من أكتاف كابوسه وحتى سقوطه بين ثنايا فكوك خط استوائه .

حاول أن يتراجع لولا أن أصواتاً أطلقتها حجارته الملقاة بين قدميه داهمت مسامعه.. لم يكن صوت ارتطامها بالأرض بل كان صوت آخر، هل يعقل أن تكون معاقرته للخمر قد سلخت عنه الحكمة حتى تحول إلى إنسان لا يفرق بين صوت الارتطام والتأوه، دس يده بين طيات قلنسوته علّه ينزع من أذنيه بقايا ذلك الصوت، حاول أن يهز رأسه ليطفئ طنينه من قطرات الودق المتساقط على هضبته المنبعجة.. لم يفلح !

-آه يا الهي ما هذا الصوت الوافد على عذرية مسامعي ؟.. من أين يصدر ؟.. كفى أتركني، أرجوك.. لم أعد أحتمل..

حركاته الهيستيرية لم تمنع الصوت من مداهمة أذنيه بصفيره المدوي، تتلاقح الأفكار في ذهنه وتتوالد هديراً ينتشر بسرعة عاتية، ومحلقاً فوق سماوات تشظياته، تحتويه غمامة من الأفكار الهستيرية تلقيه عند بقايا الفم المثلومة شفته، بسقوط لثامه.

-ما.. ما هذا.. هل هذا هو مصدر الصوت ؟!.. يا الهي أنه يؤلم؟

ملازمته لمسك صيوانا أذنيه لم يمنع الصوت من اختراقه.

-يا إلهي.. هل أنا أحلم مجدداً أم أنني لا أزال ملقى خارج بوصلة حلمي الأول ؟، أنقذني يا إلهي ..

-هههه من ماذا تستجير يا فتى، فأنا الذي تألم من آثار إلقاء جوهرة عمامته على شفته ؟ !

-من.. من أنت ؟؟!

-أنا بقايا التمثال الجاثمة تحتك ألم تلحظني .. ؟!

-ما .. ماذا، تمثال يتكلم ؟.. يبدو أنني قد جننت فعلاً، أو أكاد أجن هههههه.. لقد جننت، لقد جن سانشو[20]، يا لشماتة كل لحظاتي التي قضيتها في خدمة الدون، وكل كؤوس الخمر التي قبلتها، يا فرحة كل أعداء سيدي وأعدائي بهذه اللحظة.

-توقف عن هذيانك يا فتى وأسمع لما أقول فلم يتبق لك الكثير من الوقت .

-ماذا أسمع ؟، وهل بقي من أذني شيء، بعد أن تمزقت شراشف طبلة أذني بصليل صوتك المتصحر؟

-أقول لك اسمع، قبل أن يؤرخ ميعاد الصلب ـ ويقترب موعد تفجير دموع الرياحين على هذه الأرض القاحلة.

-ما هذا الجنون هههه.. تمثال ينطق هههه، أظنه جسد مذبوح ينتفض ليبعث في يرقات عقلي الضامرة قبسات جنون مرتقب.. هههههه لا أستطيع الصمود، بطني ستنفجر من كثرة الضحك.. هههههه

[20] سبق ذكره تفصيلاً هامش 1

-إخرس يا هذا، وانتبه لما أقوله .. أترك هذيانك الهستيري وركز لما سأخبرك به.. أنا لا ماسو شذّا[21].. حامي بوابات آشور المهيب الموكل من سيدي سنحاريب[22] . وبراق زرادشت[23] ، دمرني رُسل أهريمان[24] بعد أن عرجت بسيدي زرادشت[25] عند حضيرة أهورا مَزدا[26] كما ترى، وهم يحاولون أن ينفثوا سمومهم بما تبقى من رئتي على هذه الأرض .

-أها ..

---

[21] سبق ذكره هامش 14

[22] **سنحاريب بن سرجون الثاني(705 – 681 ق . م): الامبراطور الشهير الذي قام بتوسيع رقعة ملكه وبسبي اليهود للمرة الأولى ، وقد استكمل ولده أسرحدون مهمة والده فيما بعد .**
اشتهر بنقل عاصمة ملكه من دور شروكين إلى نينوى، وبحبه للدم والغزو، حتى نال نصيبه منه على يد أبنائه أدرمّلك وشَـرَاصر بينما كان يقدم القرابين في معبد معبوده "نسروخ"، الذين هربا إلى جبال آرارت في أرمينيا الصغرى.
المصدر : ويكيبيديا و سفر الملوك الثاني (19 : 39)

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%86%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A8

[23] سبق ذكره : هامش 14 و 16 : إذ تشير بعض الوثائق الزرادشتية إلى أن لاماسو شذا هو ذاته براق زرادشت ، الذي عرج به ، ليلتقي بإلهه المُفترض (أهورا مَزدا) .

[24] **أهريمان (أنغرا ماينو) : الشيطان الشرير أو إله الشر والظلمة لدى الزرادشتيين .**
المصدر : ويكيبيديا
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%87%D8%B1%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86

[25] سبق ذكره هامش 16

[26] **أهورا مَزدا : إله النور والفضيلة والخير لدى الزرادشتيين ، وقد عرج إليه زرادشت عن طريق دابة شبيهة بثور آشور المجنح أو نسر ايتانا الأسطوري .**
ويخالفه إله الظلمة والشر أهريمان .
المصدر : ويكيبيديا :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%87%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%B2%D8%AF%D8%A7

-ما بك هذه الأرض التي تقف عليها جزء مني، وكل ذرة من ترابها تُشكّل خلية من خلايا خارطة جسدي المتعب.

-وماذا تريد مني يا رأس الثور المنحور.. ؟؟!.. أنا الآن ضائع وشريد، خارج حدود زمني الذي أعرفه.. ولا أعلم ان كانت عيناي ستطالعني بشيء من مباهجه، أم أنها ستقصيني كما أقصت رأسك إلى موانئ الوجع الجريح

-أريد منك أن تتشجع، وتسرع في انجاز الدور الذي وكلت به منذ الأزل

-دور أي دور.. عن ماذا تتحدث.. فالحزن يعصف بقلبي، ولا أعتقد أنني سأعرف الهجوع بعد هذه اللحظة ؟.. أهي أهي أهي.. يغرق في نشيجه الممزوج بنضارة الحزن.

-لا تخف.. هدئ من روعك، لقد أنتخبتك هذه الأرض لهذه المهمة من قبل أن تولد، فأحطناك بمجايلة فارس مبدئي صغير، يدربك على القيام بدورك الذي رسمته لك أنامل القدر.

-أنامل القدر.. انتخاب.. مهمة عن ماذا تتحدث، يبدو أن مأساتك التي بعثرت رأسك قد طير ما تبقى من أبراج عقلك المنتهك... !

-تأدب يا فتى، واستمع لما أقوله لك، فلم يبق أمامك متسع من الوقت

-إلى ماذا أسمع إلى هذا الهراء.. آدمي يحدث حجراً ؟؟؟ هههههه

يهزه صوت الدوي مرة أخرى حتى يعود ليسقطه ذليلا بين ثنايا الفم المتهدل

-اسمع ... لقد وجدنا لوحا مخرمّا بين ثنايا أطلال مكتبة الملك الآشوري العظيم آشور باني بال[27]، تخبرنا عن فتى بمواصفاتك، سيخترق دوامة القدر، ويأتي ليبحث عن ظلال فارس ينقذ هذه الأرض من جنود أهريمان[28] ، فيعثر على بقايا رأسي، لأدله بعدها على جسد سماوي فيسحبني إليه بالحبال المدفونة بين قدميك - والتي استخدماها كلكامش[29] وأنكيدو[30] في ربط ثور عشتار السماوي[31] قبل أن ينحراه - لأطير به إلى حضرة أهوروا[32] العظيم، فيقوم بأمر ثرفانتس[33] أن يرسم على لوحه النوري فارسا دون كي

---

[27] **آشور بانيبال (669 – 640 ق. م) : حفيد سنحاريب الشهير وصاحب المكتبة الشهيرة ، التي تم العثور فيها على ألواح ملحمة كلكامش الشهيرة ، ذُكر في التوراة بسنابير ، ولقب بملك العالم .**
المصدر : ويكيبيديا :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A2%D8%B4%D9%88%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A8%D8%A7%D9%84

[28] **سبق ذكره هامش 24**

[29] **ثور عشتار السماوي ، كلكامش ، أنكيدو : شخصيات مذكورة في الملحة الشهيرة .**
المصدر : كتاب (ملحمة كلكامش) ، لطه باقر : نسخة ألكترونية :
https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%AC%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B4-pdf

[30] **سبق ذكره هامش 29**

[31] **سبق ذكره هامش 29**

[32] **سبق ذكره هامش 26**

[33] **سبق ذكره هامش 15**

شوتيا[34]جديدا يلائم هذا العصر فتقومان بتخليصنا من غربان الشر الأهريماني[35] وتعيدون إلى هذه الأرض نضارتها المعهودة.

-لا تقل لي أنني هو الشخص المختار.. يالشماتة كل ماعلق في ذهني من علوم ومعرفة .

-اسمع.. عليك أن تسرع، قبل أن يقع المحضور، فهاهم غربان أهريمان يستبيحون أرض آشور وعرض بناتها ببدعهم المزخرفة بتفاهاتهم الظلامية.. أسرع و أسحبني صوب ككالخو[36]، فقد هشم جنود أهريمان[37] رأس أحد نسخي.. أسرع و أدمجني بجسده، كي أطير بك قبل أن تلتقط سنارة القدر آخر خيط نور ذهبي من شمس آشور، ويحيط بنا غربان ظلام أهريمان[38]، وينقضوا عليك وعلى آخر أمل في إنقاذ ضحايا هذه الأرض المستلبة.. لا تدع حلقة التفكير تسرقك .. أسرع فالوقت ليس في صالحنا.

-حاول أن يوقظ عيون أصابعه وهو يشرع بتقليب كتل الرمال الجاثمة خلف قدميه..

---

[34] سبق ذكره هامش 2

[35] سبق ذكره هامش 24

[36] ككالخو : راجع الهامش رقم (14) والرابط التالي :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%A7%D9%84%D8%AD

[37] سبق ذكره هامش 24

[38] سبق ذكره هامش 24

أصداء صوت والدته وهي تحثه على الخروج من القبو المنعزل، يخالط شبقه للعثور على عنق الحبال المدفونة

تطالعه غمامة سوداء تتشكل في منتصف المسافة بين زريبة حماره ومنزل سيده

يأمره الرأس بالإسراع .

تقع عيناه على عجلات غريبة مفتوحة (الفوانيس) في وضح النهار ، وعلى أشخاص مدججين بمعادنهم اللاهبة وهم يغرسون شيئاً في رحم الأرض ويسقونها من جثث جماجمَ مشطورة من النصف ويرددون عبارات غريبة مصحوبة برقصات تشبه حلبات القرود

((- ما بالك يا سانشو[39] لاتضحك ؟.. إلا ترى هذا العبد وهو يرقص ويراقص قرده الأحمر؟

- أعذرني يامولاي، لقد أهمني أمر جاريتي الحبلى، وأنا أخاف أن تدهمها لحظة الطلق ولاتجد من يأخذ بيدها أو يسقيها شربة ماء

- لا تخف يا سانشو[40].. وأضحك فاليوم ((سمر)) .. وغداً ((أمر))

- نعم يا خليلي اليوم سمر وغدا .....)) بدأت الأرض تهتز وصراخ الرأس له بالأسراع

[39] سبق ذكره هامش 1

[40] سبق ذكره هامش 1

ظهرت سيقان خضر سرعان ما أصفرت حتى أسودت وبدأت تتسارع في الصعود كأذرع أخطبوط عملاق وهي تنث من بين مساماتها دخاناً أسود، انقطع الجمع عن الانسياق في هذيانهم وبدأت العربات المصفحة بمغادرة المكان وهي تردد بأبواق تشبه الحلازين

أللّه أكبر .. أللّه أكبر..

العزة لدولة خلافتنا..

دولة الخلافة باقية.. باقية

وبين هذا وذاك تتسارع الأذرع الخشبية بالتصاعد نحو الأعلى وسط صرخات الرأس، داعياً سانشو[41] للاسراع في البحث عن بقايا الحبل فيسحبه ليوقفا نهم الغول في الهبوط، ويفلحا في إسقاط هوية الهبة الغريبة، التي يحاول أن ينزلها الغرباء من أعالي قفصها السماوي المغلق.

****

[41] سبق ذكره هامش 1

عندما يُطفَــأ الحُلُم

أصبح من الصعب أن تدرك شيئاً.. ولكنها.. وفي اللحظة التي تسبق الاختناق، استطاعت أن تميز صوتها من بين حشد أصوات الإطلاقات المتنافرة.. هادئاً هدوء الموت، ثائراً.. عنيفاً.. وتمطى كل شيء بعد ذلك بوجل هارب ومفزع.

انتزعت نفسها من فرن الأصوات الهادرة.. لم تعد تتذكر تسلسل الحركة .. ولا أشكال الوجوه .. وفزعها وهم يفرغون فيها وابل الرصاص.

لم تعد تميز من معالم وعيها المفرغ سوى شارع طويل تجري فيه بلا هوادة كحصان مجروح هائم بين حراشف الأشجار ورفات صخور نامت عليها أوراق الخريف...

شارع متسق الأبعاد، يطويه الفراغ المظلم.. ينتظر قدومها بفارغ الصبر ليغرقها في دثاره الأثيري.. الضبابي المظلم ..

شارع لا يتنفس إلا بوقع قدميها الصارختين وهي تحمل ثقل الجسم .. وكومة أحزان محمولة في سلة سندان عقلها المرهق..

((.. هذا الصمت يرعبها ويحذر شغفها للتذكر.. يبلعها ككفن مفروش.. كجراد متناسل في حقل لا متناهي ..))

وقع أقدام تتقدم برتابة فتبتلع السكون.. تتقدم لتنهشها وتغرقها في لهاث متدحرج.. تتحرك.. تتحرك.. حاصرتها ملوحة عند الحلق.. تخنقها رغبة تكاد تغتصب صرخة مكبوتة في دهاليز حنجرتها المرتجفة ترتعش.. تتمزق أسارير وجهها.. في لحظة.. أدركت بمجسات عقلها الظامئة أن الحزن والخوف هما.. الهاجس.. الحقيقة المرة، الوحيدة في حياتها.. إنهما شغلها الشاغل.. من يدري لعلهما المتاهة الوحيدة المتبقية لتتيه في مجاهلها

- ((كل الحقائق كاذبة.. كل شيء يكمن فيه خطأ ما.. كل شيء))

الخطوات تتبعثر مع التعب المتسلل بانتشاء في جسدها الضامر المرهق.. بدأت تحس بثقل جسمها يتزايد.. يثقل.. يتواثب.. فيسقط على قارعة رصيف مكسورة.. تهالكت.. تمددت اليدان مثل غصنين طريين.. تقوس ظهرها على هيئة علامة سؤال.. فوران دائم يشق جبهة الصدر بوجوم متوحش.. تتقاذف نفسها كمنجل يترنح بين أعناق سنابل متكاسلة..

- ((ما الذي حدث لهذا العالم ..تصرخ مهتاجة :- أبي اتركوه .. لا تطلقوا عليه النار .. لا)) .. ضياع أبدي في رحم عالم أخرس .. جسد أخر يتماوج

من وقع معاول الرصاص المتراشق .. يغيب في سنادين الذاكرة ثم ينهض ليلحقها في سباق هستيري .. يدنو .. ويدنو .. ثم يتلاشى في الفراغ .

يعلو صوت وليدها .. مبتدءاً من ثغرة التلاشي .. يتلمس تضاريس ذاكرتها المتهشمة... يدغدغ صمتها السجين... صوت مفجع.. كأنغام مزمار مشروخ.. حاصر أذنيها.. تغلغل في مسامات عقلها الأهليليجي وأقفل المسارب عليها .

صوت زوجها وصورته تغلف كل الموجودات بلون واحد لا تعرفه .. خليط أحمر، اختلط برائحة البارود الأسود .. وجه يعبس.. يطبق على شفتيه .. دم أحمر دافئ يجري كنهر تحت السرير المهترئ يتقيؤه جسده الممزق .. انتفضت كل مشاعر الغضب من صدرها .. اعتقدت أنها تستطيع أن تنهض الشمس من مهدها لتزيل ظلام ليل دامٍ.. تتسارع الخطوات بالقرب منها.. وتدور معها نبضات مخنوقة.. يتجمد وجهها مفزوعاً مرة أخرى.. كادت حنجرتها تفلت من مدار حلقها الجاف .

الدائرة تضيق.. الصوت.. الوالد.. الطفل.. الزوج.. الوحش القاتم.. الرشاش المدوي.. المنصة تهتز..العقل يشتعل بإيقاع رتيب ومتصاعد .. ترتجف الأوصال.. تحتضر الهمهمات.. تحاول الوقوف ولكن خوفها أصابها بالشلل..

يزرعها.. يذلها.. كطائر فقد جناحيه بين الغيوم.. دائرة الأصوات تقترب.. وأصوات الرشاشات تستشيط، الأفق يخيطها بين لحظات السكون.. يثبتها كي لا تنساب من مكانها كأخطبوط أخرج إلى اليابسة من الماء.. تغوص في مخاض هستيري .. تحاول الوقوف.. ثم .. ((طاخ .. طاخ)).. أصداء تتكرر في مشيمة ذاكرتها القلقة.. تلفظها إلى رحم المجهول.. يخيم سكون ثقيل يحيط به صرح خاوٍكرجع النبض يلتف متشرنقاً بحبل متين.. بهتت الألوان، واختلطت الأصوات بوابل من الصور.. المنصة تهتز.. الفنجان يتشظى.. حشرجات تعلك همساتها.. تدلي عقلها.. تثبت جسمها كمسامير صدئة على قارعة الطريق.. كان صوت النبض في دمها يتململ ، ويتمدد بشكل جديد لم تألفه.. يتشكل جنيناً.. يستعذب صرخته الأولى.. يختلط بصورة والدها وهو يحملها لأول مرة.. بصورة زوجها وهو يضمها لأول مرة.. بصرخة وليدها وهي تعانق ثغره لأول مرة.. تتلاشى أوجاعها في أخدود ومسارب ذاكرتها الخاوية.. يرتفع الجسد الممدد قليلاً ثم تشرأب الرقبة في سباق هستيري نحو مساحة ضوء نازفة من مجاهيل الغيب ..

-((آه.. آه أريد أن الآمس زهرة والدتي بيدي الراعفة حد الانكفاء.. ضميني بين وسادات أياديك وأطفئي صرير النزف المؤجل في حنايا روحي المكممة بالسراب.. أقبلي ألمّي فأنا بانتظار لمستك الحانية.. آآآه.))

وبهدوء أبتلعها حوت السكينة للمرة الأخيرة.. رفرفت روحها بعيداً عن جسدها سابحةً في الأفق رغم كثافة الهواء.. وانتهت لعبة الأصوات بمبضع القساوة والدموع.. وألقيت ورقة أخرى في مخافر شرطة هذا البلد ضد مجهول.

****

الصورة

ليس غريباً أبداً أن أتحول إلى هذه المرأة، فلدي بالفعل نظارات سميكة ومقعرة مثل التي ترتديها، وأعتقد أني سأنكمش لأصير في مثل طولها، سيصيبني الترهل ، وسأرتدي وشاحا يغطي شعري الأشيب، سيضمر حوضي ،ويصبح رحمي خاويا، وأنظر عبر زجاجات نظارتي قبل أن أعبر الطريق، لأني لا أريد أن أموت قبل أن يتوقف الصبيان عن مشاكستي، وأثدائي عن الفوران، ليس غريبا أبدا أن أنتهي إليها، وربما أفضل، لأني عندما أصير امرأة عجوزة في صورة محاطة بشريط أسود أن أوحي لفتاة جالسة في حضن والدتها التي لم تفوت طقس عزائي ؛ بنهايتها .

****

هلوسة انتخابية !

لم يعد هسيس الوقت يربك حصان الذاكرة، فالمسافة التي قطعها في مشواره الطويل، تنطوي على إرث سياسي ومعرفي ثقيل - هكذا كان يتصور - تتوارى المشاهد وراءه مطوية بين شعارات ناءَ عن حملها جيلٌعقيم حتى خُيل له، أنه سيتمكن من تعديل دفة واقع لم يعد يخلو من الغرائبية في تموجاته، اعتلاه هاجس الصمت، وهو يلوك الصوت الوافد من بين الجمع المحتشد في منتصف القاعة، فالسيد) ف (قد حصد مقعدين، والسيدة) ع (قد حصدت سبعة .

ظل يتأمل المشهد المتواثب في جمجمته وسط ضياع لا يمكن تدجينه ..

انخرط فجأة في بكاء مرير، وهو يمسك الصندوق بالمقلوب

سأله الواقف بصفه عن الأمر فقال :-

- قائمتي...
- ما بها ؟
- قائمتي.. هي الوحيدة التي لم يصوت عليها.. أحد !

هذيان !

بعد عودته من صلاة العيد، ألقى كوفيته فوق الطاولة القريبة من شرفة شقته المطلة على نهر السين؛ وأمسك بالريموت كنترول وأخذ يقلب القنوات الفضائية برتابةٍ بالغة؛ بعد برهة وجيزة توقفت أصابعه عن العزف على أزرار الريموت كنترول وأخذ يشاهد الموقف بصمت .

تذكّر شوارع بغداد التي تركها هرباً من إنشوطة خيط العنكبوت القابع خلف كل من يتخلف عن الالتحاق بالخدمة العسكرية وتذكّر شوارع الرشيد وحيفا وأبي نؤاس المتخفية بصمتها خلف الصور واللافتات المبتورة.

ألقى بمنفضته نحو التلفاز ثم شرع يركله تارة تلو أخرى عله ينفض من سلة عقله ما علق بها من قمامات الأمس الدامي، التي باتت تسكنه حتى بعد مرور كل هذه الفترة، وبعد انتهائه من طقسه الهذياني التفت إلى جهة باب الغرفة، فاذا بأشخاص قد اجترحوا عليه خلوته، كانوا يلبسون الملابس السوداء نفسها الملوثة بغبار الحروب وتراب المقابر، سحبوا كوفيته من على طاولته القريبة من شرفته وعلقوها في عنقه.. وتقدم الواحد منهم تلو الآخر ليشنق بها نفسه .

هيللويا

- كم شظية تلقّيت، يا صديقي؟

- أظنّها ثلاث شظايا..

- أنا لا أعلم كم تلقيت لإنشغالي بحمل جثث أولادي .

- كنت أحسبك ابتكرت طريقة تخلصنا من شر هذا المصير المفجع، وأنا أرى مراودتك لحركة ضربات طائرتهم الآثمة !!

- وأنا كذلك لولا أنني أهملت معرفتي عن شهوة القتل التي تعتري مرسليها، ومهارة من يقودها في استخدام الآلآت المدمرة..

- كان بإمكانهم أن ينبهونا قبلها بقصف قريب، قبل أن يشبعوا رغبتهم في إبادة أهالي هذه المناطق المنكوبة .

- هل تعلم ما يقلقلني؛ أن تتماوج صورتي فوق شاشات التلفزة وهم يهللون بقصف مواقع لإرهابيين مفترضة ؟

- شيء يدعو للغثيان.. نقتل بهذه الطريقة من أجل أن نرضي شهوة من تركنا ممددين هنا دون حراك !

-أبناء العواهر.. لقد مزقونا أكثر مما يجب!، هل نحن الآن في عداد الأموات؟!

- مثلك ، لا أدري.. لكن.. هكذا قصص تنتهي بوصول الأفواج المسعفة .

- هذا إذا كان هنالك من يستطيع أن يسعفنا أصلا .

- أسكت ولننتظر.. !!

****

إنـ.... كسار

قالت سعاد، البائعة في متجر بيع الورود، ذات التسعة عشر ربيعا لمذيعة الأخبار: لا أعلم، لم كلما حملت وردة شوقا لإهدائها لأحد الأصدقاء وضعتها على قبره ؟ أعتقد بأن الله يعاقبنا بنزع أشيائه المغروسة من أرضه . إذن سأعيد زرع ماهو له، ولكن هل سيعيد إنبات ما هو لي؟! عندها أعلنت مذيعة الأخبار ، عن تقدم جديد لقطعات الجيوش المتناحرة !

****

بروفايلات طائفية

على جدار أحد المراحيض العامة ، كتب أحدهم :

-تسقط حثالات دولة الفافون !

وكتب آخر :

-تسقط شراذم داعش الصفيقة !

وكتب ثالث :

-الموت للمعارضين!

وكتب رابع :

-اصمتوا ! ما لهذا اجتمعنا يرحمكم الله ..!

****

اغتيال

ما أن وصل الإعلامي رياض جابر إلى ساحة الحدث، حتى بدأ بالتقاط الصور، وبعدما عاد إلى مقر جريدته، لبس ملابس العمل، وأشعل مصباحه الأحمر، ثم ولج إلى مختبره .

وضع محاليل التحميض في آنية العمل ثم شرع يغمس ما التقطته يداه فيها:

- في عملية التحميض الأولى، فوجئ بوجوه لأناس لم يكونوا قد تواعدوا على الالتقاء في موعد مسبق .
- في عملية التحميض الثانية، فوجئ بلقطة لطفلة وأمها تعانقان ثغر الموت.
- وقبل أن يشرع في الثالثة، أمطره مسلحون رصاصا من مسدس كاتم للصوت.

****

بسطال دوت كوم

لن أقوم باستبداله

كنت أرددها دائما عندما أسمع توبيخ عريفي المتصابي وهو ينهرني ويشير بسبابته باتجاه مذخر التجهيزات العسكرية

لن اقوم باستبدالك .

عندما يسمع " بسطالي " هذه العبارة يُجْهِز على قدمي ويحتضنها كنوع من الامتنان والعرفان .

علاقتي ببسطالي بدأت ، عندما التحقت لأداء خدمتي الإلزامية وازدادت عندما انحرف بي قليلا – ذات مساء - عن فوهة حفرة مجوفة ضمت لغما كان ينتظر اقتناصي ، أثناء حربنا العبثية مع جارتنا " العـ ...ـديقة "

كان بسطالا وفيا حقا ، فقد أنجاني من الكثير من المآسي ؛ كإلقائي – مثلا - في خندق أثناء تقدم رتلي المقاتل في إحدى معاركنا الشرسة لحظة وقوع قنبرة هاون ؛ أوإنزلاقه – ذات مساء - ليضرب مؤخرة عريفي الحانق عليه فيسقطه فوق كومة من الأسلاك الشائكة ؛ حاولتْ أن تعيق هروبي أثناء التفاف فصيل معادٍ ؛ ليشكل جسرا أفلتني من أسنان كماشتهم التي كادت أن تسقطني أسيرا بجانب من سقط لديهم في تلك الليلة المشؤومة .

مازلت أذكر كيف ضغط بمؤخرته على صورة لزعيم معمم حتى أزهقها ؛ الأمر الذي أثار إعجاب آمري؛ الذي أمر بترقيتي لأحل بديلا عن عريفي المأسور من تحت أنف بسطالي الموقر .

بسطالي غريب الأطوار، فقد أبى أن يعود إلى مذخر التجهيزات ،أثناء تسرحي من خدمتي المرهقة؛ وآثر أن يبقى رفيقا لي حتى وأنا أمتهن مهنة عامل بناء خلال فترة سنوات الجوع التي راودتني خلال اثنتي عشرة سنة ، ومع هذا فهو لا ينفك يحرجني كلما ذهبت لأؤدي صلاة في مسجد من خلال تغييره لموقعه بين بساطيل حاملي لقب " أبو خليل " الجدد، وكان يتعلل بخشيته في أن يسرق من قبل متشرد جائع فكر في بكاء طفل من أطفاله المتسولين ؛ أو أن يُرتدى من قبل جندي متعجل بالمغادرة ليلتحق بباص الموقف ؛ فيتركني دون وداع ، الأمر الذي جعلني أعزف عن تأدية هذا الفرض امتثالا لرغبته الغرائبية .

بسطالي قوي جدا؛ فهو مولود في مصانع روسية ، أهلّته لأن يكتسي بطبقة قوية من الجلد المحكم، ولكنه وللأسف آثر أن يستسلم ذات صباح نيساني عندما رأى دخول قوات غريبة بآليات مبعثرة، فمد لسانه وأرخى رباطه ، ورمقني بنظرة أخيرة طالبا مني حرقه وتشييعه.

فكانت هذه ضريبته الوحيدة للمغادرة وارغامي على البحث عن " لابجين " جديد !

ترقب ..

* الرجل يستعد لإطلاق تهديده بفسخ خطوبته .

* المرأة في الغرفة الأخرى تتوسد بطنها التي بدأت تتكور .

* أحد الجيران يلقي التحية على الرجل و يبادل من يقوم بفتح الباب بابتسامة باهتة

* الجو مشمس هادئ و غير مناسب لأي طارئ!

* القاص المخمور الجاثم خلف لوحة مفاتيحه القديمة .. لماذا قرّر أن أحداً من هذه الشخوص سيموت ..حالما يصحو من ثمالته ؟!

****

موت المؤلف

دفن المؤلف حرفه الأخير تحت وسادة نصه، صعدت شخوصه إلى المسرح، ضحك المقدم، نفض الجمهور يديه من التراب، دُهش المخرج، انفجر المؤلف باكيا، سقط الحذر ميتا من الملل، وقف الناقد يصفق بحرارة.

****

مباغتة

لوحة مفتوحة

في جانبها الأيمن ثلّة تمتطي الزي الأبيض، تتمطى من نوم خفيف.

في جانبها الأيسر امرأة داعبها نقر دفوف لأناس امتهنت لبس اللون الأسود وإعتلاء رايات معقوفة ، ورجل ضايقته لفافات التشنج التي تنضح بها تلك الدفوف فأنزلق من الشاشة.

بعد قليل سيلهب شجار قصير جانبي اللوحة .

شجار يبدؤه أصحاب الرايات المعقوفة .

فالرجل الذي يرصف المشاهد ثم ينزلق في كل مرة، يغافلهم ويرسي الدفة لغرمائهم الناعسين .

****

خدعة سينمائية

كل شيء كان معدّا على أكمل وجه ، المهللون اصطفوا على شكل فريقين في الساحة بشكل منظم، الناقة تهادت في مشيتها لتلهب الحاضرين إلى الحد الذي جعل كل من في الساحة ينقر على دفه بصوت عال كلما تناوب بروز العصا أمامهم.

كل شيء كان معدّا على أكمل وجه .. والمشهد كان مرسوما بدقة.

لم يعرف أحد ما الذي أراده المخرج - وقتها - بإخفائه.. ثوب مصوره القصير !

****

خراف مهاجـرة

ما أن بادر محمود (الجابي) بتحصيل مبالغ أجرة الركوب في عربة نقل الركاب ذات الرقم (40)، حتى صدم بجلوس (خروف) هزيل واتكائه على أحد مقاعد الدرجة الثالثة المخصصة لأولي الدخل المحدود، فما كان منه إلا أن ضغط على زر الوقوف، لتنبيه سائق الحافلة إلى وجوب وقوفه، وقبل أن يبادر بتحريك (الخروف) وانزاله من الحافلة، باغتته (خراف متنكرة) بملابس مسروقة من حبال الغسيل بالالتفات نحوه ؛ بعيون منكسرة راجية اياه أن يسمح لها بايقاظ ثوانٍ لساعات توقدها باتجاه هجرة، تبعدها عن سكاكين أعيادنا القاتمة ..!

****

فالانتاين ماكدونالزي

الظروف هي التي قادتنا إلى السكن في هذه الثلاجة ..
حديقة مغلَّقة على أنواع من الخضر والفواكه ..
شجرة نحاول أن نتسلق فروع أغصانها للوصول إلى (دباديب) أحلامنا ..
سلة كسطح مقلاة تجمعنا بالآف العذارى من بني جنسنا...
صحن لا نعاني فيه من مشاكل معقَّدة باستثناء ما يتعلَّق بالتقطيع فالموت...
إذ كثيراً ما تشكو حبيباتنا من ثكل أحبابهن،
كثيرا ما تدهس مساماتنا بفقد أعزهن علينا.
لجلادينا كل الحق، لعدم قدرتنا على رد شفرات سكاكينهم الذاوية .
أخبرتنا مقصلة مقلاتنا الآثمة ذات يوم، عن طريقة طهي جثثنا وهي تعانق لعبة النوم
وعن عقدها لصفقة جديدة باستيراد أحواض من الزيت لشي أعضائنا المتهالكة
وعن نيتها بالسماح لنا ذات يوم بلحظة وداع قبل أن نتماوج فوق صحون زبائنهم المفترسين
إلا أنها لم تخبرني عن نيتها على استعارة دور شهريار في إنفاق أرواح حبيباتنا ، قبل أن نهديهن تويجات رؤوسنا في ليال فالانتاين الحالمة .

ما لم تدونه ذاكرة الحرائق

• حدث هذا مرّات عدّة: مددت رأسي من فتحة تابوتي ، لأرى متسولين ينتظرون بين شقوق لجدران عارية، فيما سياط زبانية العذاب ومساميرهم تخترق غلاف أفكارهم النيئة ...

• حدث هذا مرّات عدّة أيضاً: مددت رأسي من فتحة تابوتي ، لأرى متسولين ينتظمون عند الشقوق ذاتها فيما سياط الزبانية ومساميرهم ما زالت تخترق غلاف عوالمهم النائية . شيء واحد تغيّر. الجميع مكبوتون .

• حدث هذا أيضاً: أقف إلى جانب امرأة عاقر. تسألني عن الوقت، فأجيب:

- لا يزال لظهور تابوت فارسك العجوز نصف دورة

فتهزّ رأسها في أسف، وتتمتم:

- لا فائدة. لقد ضاع الموعد...

ثمّ تحمل أمعاءها، وتغادر...

• حدث ذات مرّة: بزغ تابوت لفارس مصلوب وعلى الجدران العشرات من هياكلنا المرصوفة . جلود جافّة متشقّقة. وعيون غادرت محاجرها. وصرير سيوف تخترق غبار الممكن.

• حدث هذا مرّة واحدة : مددت رأسي من تابوتي . لـمْ يبقَ على قيد الحياة سوى متسول واحد راح يراود خيالاته ببرود قاتل

• ما قد يحدث يوماً ما: مددت رأسي من تابوتي ... لأجد سيوفا تتخبط من عين مليك لا تعرف متى يتوقف.

• ما لـمْ يحدث بعد : فتحت تابوتي وكانت التوابيت تحتفل بذكرى فنائنا وهي تنشد النشيد الرسمي للغياب

• ما لنْ يحدث أبداً: أن أحلم أن تتوقف عقارب متحركة في ساعة غرابيبنا المتشحة بالسواد .

****

كلكامشيات

اكتشاف

ما أن بادرَ العامل عبد الله بنقل ما اكتشفته أصابعه وأزميله من مكتبة الملك الآشوري، المطمورة تحت قصره، ليحمله إلى رب عمله، (جورج سميث)[42] ذو الكرش المدبب، حتى أنسل من بين شقوقها المخرّمة، رجل أشعث، أغبر، كث اللحية، فرد شاربه برأس صولجانه، وعدل قيافته، وأعاد من ترسيم حدود التاج على ناصيته و صرخ بأعلى صوته: منافقون، خونة، انتهازيون.. قلة قليلة منكم تستحق العناء والتعب.. قلة قليلة تستحق التضحية يا (...)..! غض عبد الله، العامل في عمليات البحث والتنقيب عن ألواح مكتبة الملك الآشوري بصره، واستمر في جريه لتسليم اللوح الجديد إلى سيده الثري..

****

[42] جورج سميث: عالم آثار متخصص بالمرحلة الآشورية في المتحف البريطاني، قام بترجمة ملحمة كلكامش لأول مرة عام 1870 م . توفي عام 1876 م.

العيد

كانت أوروك[43] تحتفل، و كان الكهنة يهزجون ويقدمون القرابين في المعابد، الناس كلهم كانوا فرحين، يرقصون و يجهزون الحلويات والهدايا لعودة حاكمهم المشغول بتجهيز خيله سرا .. لرحلة جديدة .

****

[43] أوروك : مدينة الوركاء السومرية .

انتصار

تباهى كلكامش[44] أمام كهنة معبده وأعوانه بحفاظه على شرفه الملكي وشرف دويلته ، وحكى لهم ماجرى عندما حاصر (أجا)[45] ملك كيش أسوارهم وأراد أن ينتزع استسلامهم ، ولكنه لم يرضَ الاستماع إلى صوته وضاع في ترنيمة لحلم غرائبي يرافقه أورشنابي[46] ملاح أوتانابشتيم الأسطوري[47] إلى أعماق مغامرة أسطورية انتهت بفشله في الحصول على عشبة الخلود، فشهق أفراد رعيته معجبين بشجاعته، وأنتشروا في أسرّتهم عازمين على الولوج في أعتاب حلم ينيلهم تلك العشبة .

---

[44] كلكامش : ملك أوروك وصاحب الملحمة السومرية الشهيرة المكتوبة بخط مسماري على 12 لوحا طينيا اكتشفت لأول مرة عام 1853 م في موقع أثري اكتشف بالصدفة وعرف فيما بعد أنه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري آشوربانيبال في نينوى في العراق ويحتفظ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني. الألواح مكتوبة باللغة الأكادية ويحمل في نهايته توقيعا لشخص اسمه شين ئيقي ئونيني الذي يتصور البعض أنه كاتب الملحمة التي يعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان.

[45] (أجا) ملك كيش : وهو الذي حاصر الوركاء دويلة كلكامش وفرض عليها الجزية في معركة مليكها الوحيد ، التي يعتبرها العديد من المؤرخين فاشلة بالقياس العسكري والقيادي.

[46] أورشنابي / الطوّافّ أورشنبي : ملاح سفينة أوتانابشتم / نوح السومري : شخصية وردت في ملحمة كلكامش الشهيرة ، حيث تقوم سيدوري (إلهة النبيذ) السومرية بإرشادها إليه ؛ ليساعده في عبور بحر الأموات ، والعثور على أوتنابشتم الإنسان الوحيد الذي استطاع بلوغ الخلود وزوجته ؛ كي يرشده إلى طريقة تجنبه الوقوع في مصير أنكيدو المغدور .

[47] أوتانابشتم (نوح) شخصية ورد ذكرها في الملحمة الشهيرة .

ابتسامة

ما أن وصل إلى أبواب أوروك[48]، نافضا تراب رحلته القاسية، حتى فوجئ بإلقاء القبض عليه وسوقه نحو المقصلة، وهناك وجد رعيته تنتظره وهي تحمل المراوح لسيدها الجديد، الذي كان فيما مضى صديقا لمليكهم المخـــلوع ، وقبيل تنفيذ حكم الإعدام، سُئِلَ إن كانت له وصية أخيرة؟ يتم إدراجها في لوح مغامرته الأخيرة، التفت بكل كبرياء نحو جلاديه ووضع ابتسامته العريضة أمام القاضي وأوصى بتوزيعها على شفاه كل اليتامى المغشوشين بسيدهم الجديد .

****

[48] سبق ذكره تفصيلا هامش 43

صدمة

ما أن عاد كلكامش[49] المسكين من رحلته الأخيرة، حتى صدم بجلوس غريمه على عرشه، وخلعه منه، فأصيب بلوثة بدلت أماكن المشاعر في دماغه، وأصبح يفرح لما يؤلمه، ويحزن لما يسعده، ومن حينها شعر بسعادة غامرة وهو يهيم في الأسواق كمشرد بليد ، يحلم بقطعة خبز يقضمها في آخر نهاره، إلاّ أنَّ أحزانه ابتدأت عندما أخبروه أنهم قد ملوا من غريمه وقرروا عزله، وإعادته إلى منصبه القديم ؟!.

****

[49] سبق ذكره تفصيلا هامش 29 و 44

أنكيدو[50]

تحلق متكورا حول عضد صاحبه الأثير، استرجع همهمات جامحة لاصقت عنق مخيلته الطفولية البكر، تموج وتقوقع، تاركا خليله يغرد بحركات درامية خارج السرب؛ وفي أللحظة التي سبقت الأفول، مرر عنقه المتهدج بين أبطي صاحبه ؛ وأبتسم للـــــسيلفي ..!

****

[50] أنكيدو :هو شخصية أساسية في ملحمة كلكامش الشهيرة، حيث صارع الملك كلكامش قبل أن يصبح صديقه الأقرب، وتقوم الملحمة على ذكر مغامراتهما سوية ، وقد وردت له أسماء أخرى في الكتابات المتعددة لها كـ(إنكيمدو وإياباني وإنكيتا)
سبق ذكره في الهامش :29

شامات [51]

حين وضعت فخذها الأيمن فوق وسادة فخذها الأيسر، وكشفت عن جمرته، أبرقت رسالة تفاحتها الأخيرة عبر ورقة توتها الافعوانية، الا أن وعي أنكيدو[52] بمصيبة جده أرهقه، حتى بات لا يفكر الا ببحث مستطيل عن سلم أرجواني، يرجعه الى خدر الجنة.

****

[51] شامات : ابنة أوروا ، التي تحولت إلى خادمة لدى كلكامش ، بعد انتزاعه للسلطة من والدتها ، وقد ورد ذكرها في اللوح الأول للملحمة الشهيرة ، حيث أرسلها كلكامش لتدجن أنكيدو وتقلّم أظافر بربريته ، وتهيأه ليكون أكثر اتصالا مع الحضارة ، وقد وردت لها العديد من الأسماء كـ(شمخاث وشمخة واشخارا وسمخات البابلية)، وتعني الفاتنة والجميلة

[52] سبق ذكره هامش 29 و 50

محتويات الكتاب

الإهداء	5
أنشودة سانشو بانثا الأخيرة	7
عندما يُطفـأ الحُلُم	23
الصورة	29
هلوسة انتخابية !	31
هذيان !	33
هيللويا	35
إنـ.... كسار	37
بروفايلات طائفية	39
اغتيال	41
بسطال دوت كوم	43
ترقب..	45
موت المؤلف	47
مباغتة	49
خدعة سينمائية	51
خراف مهاجـرة	53
فالانتاين ماكدونالزي	55

ما لم تدونه ذاكرة الحرائق	57
كلكامشيات	
اكتشاف	59
العيد	60
انتصار	61
ابتسامة	62
صدمة	63
أنكيدو	64
شامات	65
محتويات الكتاب	66

تم بحمد اللّه

ما لم تروه النخلة لعمنا السندباد
مجموعة قصصية

مهند يحيى حسن

الطبعة الأولى
1442 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com